الباب السابع في غرائب نبهاء مصر

الباب الثامن في نجباء أذكياء المغرب

وسميته نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة والله سبحانه وتعالى موفقي لما أردته ومسددي فيما أوردته ولما شارفت هذا التمام ووقفت في التبييض على طرف الثمام نظرت فرأيت بقي علي من أشعار أهل الحجاز واليمن حصة يسيرة كانت علي في التحصيل عسيرة فتحين من الله علي وله المنة والمنحة التي لا يؤدى ما لديه شكر المحمدة بالحج والمجاورة في بيته المحرم وتيسرت لي من أهله ثغور الفضل والكرم حصلت على ضالتي التي أنشدها ووقفت الى من يوصلني اليها ويرشد ورأيت ثمة ممن لم أسمع بهم قوما دعوا الأمل فلباهم وتعرفوا بالأدب وأهله من منذ عقدت عليهم حباهم من كل إمام شابت رأس المصابيح وما رأت له عديلا وتقوض خطيب ظهر المحاريب وما وجدت له بديلا وحكيم يبرئ الزمان من مرضه وشاعر يجري جياد القوافي في عرضه هم نشاط الدهر وشبابه وخالصة المجد ولبابه كأن الله أوحى الى البلاغة أن تجري بمرادهم وتهدي الى المراد أن تكون بين أيديهم فهبت لي منهم أنفاس ندية وتنفست أسحارهم بروائح ندية فكانت أعطر من نشر الخزامى وأرق من أنفاس النعامى فتناولت من أشعارهم ما غمسته [illegible] مسكا أذفر بشكرهم ورأيت بكل حسنة تستدعي عشر أمثالها فقابلتهم كأنني المرآة [illegible] كل صورة بمثالها وأنا ورب الكعبة أجلهم دينا وجلالة وأتخذهم حرما للأماني وقبلة وأشكرهم شكر الروض للسما وأثني عليهم من الأرض الى السما ولما برزت الإرادة الإلهية بما رقي البيت والمقام وتعدى عن ذلك المحل الذي ختم الرضى فيه والقام عزمت على الرحلة الى القاهرة لأستبر ذلك الجمع وأطابق ما بين العيان والسمع فتبعوا حكم القضا الذي لا يقابل الا بالرضى ووجهت وجهي عن بلادي ونزعت الى ما تركته من طريفي وتلادي استهدي طرف الآثار لأورد عنها كتاب التحايف وأحط بونات المنى بأيدي العيس في تلك الصحايف فلما ألقيت بدمشق عصا الترحال وحليت في ساحتها عقدة الرحال عمدت الى مجموعي الذي انتخبت وطلبي الذي اليه تحببت فضممت الى الأصل ما تلقيته وأثبت ما أخرته من الأشعار وانتقيته وجنبت الى [illegible] عن الناس فلم أخالطهم في وحشة ولا ايناس الى أن دعت دمشق الأستاذ زين العابدين البكري وللحياة عطفة بشكره وللجزل نعمة هشة وللمنصب رجاح احتسابه وللنور المقدس جوهر حوبائه فاستخرجني من مطمورة المنزل وصيرني عن الهم في معزل وأطلق لساني وكان معقولا وأعاد خاطري بعد الصدا مصقولا فتفتقت في رفاقه مبتسما واستنشقت [illegible] ورأيت [illegible] بطرد وصيلا وقبلا لا يشاف بكرة واصيلا وكان أشار الي بإكمال [illegible] حين انتهى بالرجعة فتخلفت لعائق خلفني لوعي وخلى بين الغرام وضلوعي وذاك ولوع بالمجد لا بنجد وغرام للعليا لا لليلى فلولا النفائس لم يحفل بالأدراج ولولا الكواكب لم تحفظ الأبراج ولولا جوهر الفهم لولا الحسام ولولا الأرواح لم تؤلف

الأجسام

كدرت أخفى من ضنى جسدي * عن عيون الجن والبشر

وللشعراء في وصف نحول العشاق مبالغات غالبها محمول على الإغراق ومن أبلغها قول أبي بكر الخالدي

مهرد خانه التفرق في أهله * أضناه سيره ظلما بمن يحله

فرق حتى لو أن الدهر قاد له * حينا لما أبصرته مقلتا أجله

وأعجب منه قول أبي الطيب

ولو قلم ألقيت في شق رأسه * من السقم ما غيرت من خط كاتب

وغريب قول العمار الواسطي

قد كان لي فيما مضى خاتم * والآن لو شئت تمنطقت به

وذبت حتى صرت لو زج بي * في مقلة النائم لم ينتبه

وقول أبي المظفر [illegible]

عبدك أمرضته وغدره * أتلفه إن لم تكن تزده

ذاب فلو فتشت عليه * كعكر في الفرش لم تجده

وقول أبي الفضل ابن العميد

ولو أن ما أبقيت من جسمي قذى * في العين لم يمنع من الإغفاء

وللعمري صاحب الترجمة

يا من يفوق لحظه * سهما يصيب الهدب رائشه

أنديك ما دام الضريب * فذاك ينسب للوحاشه

يرعى من الأرض الحشيش * وأنت مرعاك الحشاشه

أجاد في التنظير والرد على قول الآخر

يرعى القلوب وترتعي الغزلان برقه وشيحه

والبرقة شجرة تخضر إذا رأت السحاب ولذلك قولهم أشكر من برقة وعلى هذا المعنى حمل قول المتنبي

[illegible] إذا الكرسار الأعين السبح * جلدا كأني فلك التسبيح

بعد قول لبيد * بقول لبكن بترح

الهوى عظيما جل ما حل بي [illegible] من فعل وتعتزي بالتسبيح ما عزاه الا المطلوب العاشقين وبه تتناسب شطرا البيت

وله في غلام بحنكه طابع تمت به محاسنه * وكأنما هاروت ساكنه

غصن بان فوقه بدر دجى * يتجلى من أعالي فلكه

قد حمى برد اللمى من ثغره * طابع الحسن الذي في حنكه

نصبت ألحاظه لي شركا * جل من أوقعني في شركه

قد حمى الح يحتمل أن حمايته من حيث أنه كالخاتم ختم به على برد اللمى ويحتمل أن يكون حماه لكونه كالحفرة في طريق من يريد شغله فيخاف من الوقوع وهذا نبيل حسن وأحسن منه قول [illegible] وطابعه جب برد القلوب * به وقعن من قبل [illegible]

والطابع كالخاتم في الأصل ما يطبع به ولم أر إطلاقه على الشعرة المعهودة دائما اسمها في اللغة نونة قال ابن الأثير في نهايته وفي حديث عثمان رضي الله عنه أنه رأى صبيا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)